ظاهرة العنف

أسبابها وسبل علاجها ودور التقويم الديني

أ. بن شرقي محسن الدين

كلية الحقوق جامعة مستغانم

ملخص :

ظاهرة العنف ليس إلا ظاهرة مرضية تصيب الإنسان وليست فطرة أصلية فيه إذ الأصل فيه الفطرة السوية. لكن هذا لا يعني أبدا انه معصوم من العنف إن الاستعداد لذلك قائم فيه بالفطرة كذلك يجب علينا كباحثين البحث في ظاهرة العنف والأسباب المؤدية إليه وما هي سبل المعالجة منه ودور التقويم الديني في تقويم سوك الفرد.

مقدمة: خطورة ظاهرة العنف

تعتبر ظاهرة العنف مشكلة خطيرة تواجه كثيرا من المجتمعات في العالم. ومما يزيد في خطورتها أن غالبية من يتورطون فيها من الشباب والشباب ثروة المجتمع وان كان في بعض الأحيان سلوكه بالتسرع وعدم التروي. والمعروف أن الأمراض الاجتماعية، ومن بينها مرض العنف، كالشأن في الأمراض الجسمية يصيب المريض فيها السليم عن طريق انتقال العدوى والشباب هم أكثر فئات المجتمع تعرضا للتقليد والمحاكاة و إن كان ما يجري من عنف يقع في خارج نطاق أوطانهم. ذلك لان العالم الحديث أصبح صغيرا وفي متناول اليد بحكم ما يمتاز به من وسائل نقل واتصال بالغة السرعة، في ما يجري في أقصى شمال العالم يعلم به أقصى الجنوب في حال وقوعه .

والعنف، فوق انه أسلوب بدائي متحضر، بشكل، في الكثير من الأحيان جريمة يعاقب عليها المجتمع وككل الجرائم، يتخير في كيان المجتمع وينال من وحدته وتماسكه واستقراره وأمنه.

وفي هذا الفصل نسوق القارئ الكريم عرضا لمظاهر العنف وتحليلا لشخصية مرتكب جرائم العنف وأنواع العنف والأسباب التي تكمن ورائه والنظريات التي وضعت لتفسيره وأساليب الوقاية والعلاج من هذا الخطر المدمر.

العنف يؤثر في قطاعات كثيرة من المجتمع :

تمس مشكلة العنف كثيرا من فئات المجتمع وطبقاته وأفراده، فهي تمس، في المحل الأول، أسرة الشخص الذي يمارس العنف أو العدوان كما أن العنف يخلق كثيرا من المشكلات لرجال الأمن والشرطة والمعلمين والمعلمات، وحراس السجون، إلى جانب ضحايا العنف. كذلك تهم دراسة العنف كل المؤسسات الإصلاحية للمجتمع

أهمية التشخيص العلمي:

ولعلاج موجات العنف التي تجتاح شباب اليوم يلزم تشخيص حالات العنف أي دراسة ظاهرة العنف ومعرفة أسبابها ودوافعها والمظاهر التي تتخذها وذلك لأن المعالجة الفعالة والتداول الحسنة لمشكلة العنف تحتاجان إلى التشخيص الجيد لتحديد كم وكيف المشكلة والتعرف على أسبابها ودوافعها بغية استبصار هذه المشكلة وفهمها فهما عميقا ذلك الإستبصار الذي يفتقر إليه كثيرا ممن يتولون معالجة مشاكل العنف في الوقت الحاضر.

التصدي للعنف مسؤولية المجتمع ككل:

[1]والحقيقة إن قضية العنف والتطرف إنما هي قضية المجتمع بأسره ولا يمكن النظر إليها على أنها من مهام رجال الأمن وحدهم ، دلك لان المؤسسات الاجتماعية الأخرى وكذلك الجماعات ، والأفراد المسئولون أو الشركاء في المسؤولية في دفع شرور العنف والتطرف عن حظيرة المجتمع ، بل مسئولون عن نشأته وتطوره في الشخص المنحرف.

فالمؤسسات التربوية ينبغي أن تتصدى لقضايا العنف والتطرف باعتبارها قضايا تربوية وبالمثل فان أجهزة الإعلام والثقافة الجماعية يتعين عليها أن تقوم بدور ايجابي وفعال في توجيه الشخصية العربية وصقل مقوماتها وتربيتها على حسن المواطن الصالحة ،وعلى الطاعة والانضباط والاعتدال،وعلى رجال الدين تقع مسؤولية الإرشاد الواعي وتطهير أذهان الشباب من الشوائب والخبائث والتيارات الملحدة والوافدة،وغرس مبادئ الهدى الإسلامي الحنيف الذي يتسم بالتوسط والرفق والاعتدال.

العنف كمرض :

وتعتبر وجهة النظر الحديثة العنف مرضا اجتماعيا واضطرابا أكثر من كونه جريمة،ومن ثم لا بد له من البحث عن أسبابه بغية معالجته فظاهرة العنف تعد عرضا معتلا أو مرضيا أو صيحة إنذار أو رسالة خطر على المجتمع أن يحسن قراءة ولفهم ظاهرة العنف يجب معرفة دوافعها الكاملة في شخصية الفرد الذي يلجأ إلى العنف أو التطور وكذلك فوائدها الاجتماعية . ومن هنا فان دارس العنف لا بد وان يدرس المناخ الاجتماعي الذي يقع فيه العنف. ولذلك فان علاج العنف التطرف يتخذ شكل الإصلاح الاجتماعي وكذلك يتعين أن يتخذ شكل إعادة تأهيل أو تربية الشخص العنيف.

وبطبيعة الحال يتخذ العنف أشكال متعددة تظهر في المدرسة وفي الجامعة وفي السجون وفي الحياة العامة وفي الأندية الرياضية وفي الأحزاب السياسية والدينية وقد يؤدي العنف إلى جرائم كثيرة منها القتل والسرقة والنهب والثورة والتمرد والعصيان والإضراب والتحريض عليه والضرب والاعتداء والتدمير والتحطيم وإتلاف الممتلكات ومن ذلك ما يحدث في المجتمع الأمريكي بين الصبية من الزنوج . فإذا ما أردنا التأمل في مظاهر العنف التي يقوم بها مثل هؤلاء الصبية كان لا بد من التعرض على مخاوفهم وآلامهم ومشاكلهم ومدى عزلتهم

ومقدار شعورهم بالاعتزاز ورغبتهم في إثبات وجودهم ، والتعبير عن ذواتهم النفسية للاحترام والتقدير . في نهاية التحليل إن هذه الحاجات غير مشبعة على النحو الصائب.

تعقد ظاهرة العنف :

ولا شك أن قضية العنف قضية معقدة ومتشعبة تحتاج في بلادنا لكثير من الدراسات والبحوث الميدانية النفسية والتربوية والاجتماعية والأمنية والقضائية والقانونية والدينية. لذلك فإننا نهتم هنا باستعراض دور التقويم الديني في توجيه سلوك الفرد.

تعلم العنف :

(2)وجدير بالملاحظة أن العنف إن هو إلا عادة متعلمة أو مكتسبة تتدعم كلما مارس المجرم مزيدا من العنف حيث يعتقد أرباب العنف أنهم يستطيعون إشباع حاجاتهم عن طريق العنف وينظرون للحياة كلها على أنها مباراة من العنف هم أنفسهم أعضاء فيها .

ويبدوا أن عادة العنف تتكون في الفرد مند وقت مبكر في حياته من خلال العلاقات الشخصية المتبادلةوينتج هذا الإتجاه من فشل الوالدين في عملية التنشئة الاجتماعية وعدم تحمل المسؤولية الاجتماعية .

وتؤدي تربية الطفل الخاطئة إلى نقص شعوره بالثبات والالتزام وحاجاته إلى التأييد العاطفي ويخلق ذلك نزعات مبالغ فيها من توكيد الذات أو الدفاع عن الذات ومثل هذه الخبرات . تجعل من الصعب تكوين مفهوم صحيح عن الذات . ويعتقد المحترف انه يعيش في عالم ، الكلمة الوحيدة فيه للقوة وإن الاهتمام بمشاعر الآخرين ضرب من ضروب الضعف ولكن نظرا لكون العنف سلوكا بدائيا فإن المجتمع المتحضر وأبنائه يرفضونه رفضا قاطعا . والشخص العنيف في حقيقته

شخص غير امن وهو يمتاز بتمركزه حول ذاته وهو مهيأ لاختيار العنف كوسيلة لحل مشاكله وبطبيعة الحال يبدأ المنحرف بتجربة هذا المنهج فإذا نجح فيه عممه ومال على الإتيان بالسلوك العنيف على طول الخط.

العنف الفردي والجماعي :

هذا والمعروف أن العنف قد يكون فرديا أو جماعيا كما هو الحال في حالة الحرب الذي يستهدف القتل والتدمير والتخريب الجماعي كذلك قد تتعرض بعض المجتمعات لحالات جماعية من السلب والنهب والسرقة والقتل والتخريب. كما يحدث في حالات المظاهرات الصاخبة أو حالات العصيان والتمرد الجماعي ومثل هذا العمل العدواني الجماعي يتطلب جهودا جماعية أيضا للتصدي له وتعبئة كل قوى الطوارئ في المجتمع وهناك دراسات أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية حول تحليل دوافع الاضطرابات المدنية ودوافع العنف الجماعي . وكشفت هذه الدراسات عن وجود العوامل التالية :

- إحباط الآمال الناتج عن النضال أو الصراع من أجل حقوق الإنسان
- امتلاء المناخ بعناصر قبول العنف وتشجيعه
- الشعور بالإحباط من جراء الفشل في تغيير أو تحريك النظام العام
- وجود ميزاج جديد وخاصة لدى الشباب بالشعور باحترام الذات والشعور باعتزاز القومي و السلالي
- رؤية البوليس كرمز لقوة البيض والعنصرية البيضاء ضد الزنوج والقمع الأبيض أي الذي يمارسه الرجل الأبيض

ولقد قرر لفيف من الذي إشتركوا في حوادث العنف في عام 1968 أن هناك أسباب عديدة تكمن وراء تمردهم منها ما يلي:

- وحشية رجال البوليس
- العامل الأخر وهو الثأر ضد تسخير واستغلال البيض للسود

- العامل الثالث وهو البطالة وتفشيها بين السود
- خيبة الأمل أو فقدان الأمل
- الغفلة أو عدم القصد أو النية

حيث قرر بعضهم انه لا يعتقد في صحة القتل أو السرقة أو الحرق، أنهم إنما ذلك فقط لكي يلفتوا الأنظار إليهم ولكي يعرف العالم قضيتهم وكيف يعيشون

- فقدان الهوية

حيث يجد المريض ذاته من خلال أعمال العنف إذا فشل في إيجادها بطريقة أخرى وبطبيعة الحال السلوك العنيف كأي سلوك مرضي، توجد له مجموعتان من الأسباب:

المجموعة الأولى هي مجموعة العوامل أو الأسباب المعجلة أو المفجرة وهي التي تعمل عمل البارود للوقود المعد والمهيأ أصلا للاشتعال. ولذلك فهذه العوامل عبارة عن القشة التي قصت ظهر البعير أو القطرة التي ملأت المحيط . وقد يكون السبب المفجر هذا بسيطا جدا إذا كان الإنسان يعاني من مجموعة أخرى من الأسباب المهيأة أو الإستعدادية أو الضغوط و خيبات الفشل والحرمان والقسوة .... الخ

إستراتيجية علاج العنف:

يمكن وضع إستراتيجية لمعالجة حالات العنف بإتباع الخطوات الآتية :

معروف أن الشخص الذي يستهدف العنف يثير في الناس ردود فعل عنيفة أيضا ، ولذلك فنمط التفاعل بينه وبين الغير يتسم بالعنف. ومن هنا فان خطة التغيير أو التعديل أو العلاج يجب أن تستهدف خفض الحاجات التي تدفع للعنف أو الخلق بدائل للتعبير أو السلوك بدائل بعيدة عن العنف

والمعروف أن سلوك العنيف يرتكبه أناس يتميزون بالتمركز حول الذات ومن هنا تلزم معالجة هذه العوامل المرضية يتعين على الأخصائي الإصلاحي أن يوفر الفهم أو الاستبصار للمنحرف حول سلوكه ودوافعه ويتعين أن يكون هذا الاستبصار موضوعيا ومقترنا ببرامج إعادة التدريب حتى يتعلم المريض الاستجابة للمواقف التي كانت تثير فيه العنف بطريقة مغايرة وينبغي أن يقترن تطبيق برامج التدريب بتطبيق الاختبارات للتحقق أولا من جدواها وبطبيعة الحال لا يجوز أن نطبق نفس البرنامج العلاجية ولكن يتعين تصنيف المنحرفين في جماعات متجانسة وتأهيلهم في ضوء طبيعة كل نوع من أنواع العنف ، ذلك لان تصنيفهم في جماعات متجانسة يعد أمرا اقتصاديا وله تأثير أقوى وذلك للاستفادة من تأثير الجماعة وللاستفادة من أبعاد العناصر المغايرة ولتحقيق نوع من التنافس في مسار التقدم وحيث أن العنف عبارة عن سلسلة متعددة الأطراف ومن هنا يمكن تعديلها باشتراك أشخاص آخرين غير أرباب العنف مثل الآباء والأمهات ومن في حكمهم وجدير بالملاحظة أن برامج الإصلاح والعلاج لا ينبغي أن تقتصر فقط على الذين تثبت إدانتهم في جرائم العنف ذلك لأن غالبية مرتكبي جرائم العنف يفلتون من طائلة العقاب ، وينبغي أن تتضمن برامج الوقاية والعلاج بناء الشخصية الناضجة .

وينبغي أن نؤكد أن في هدى الإسلام الحنيف خير وقاية من جرائم العنف وغيرها من الجرائم التي تهدد كيان المجتمع

التقويم الديني :

قال تعالى في تحريم القتل: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾ (النساء 93)

وقال تعالى في القتل وسفك الدماء﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ﴾(المائدة 32)

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله في تحريم محاربة المسلم لأخيه المسلم: " لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح فانه لا يدري لعل الشيطان ينزع يده فيقع في حفرة من النار "

في رواية مسلم قال:قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم "من أشار إلى أخيه بحديده فان الملائكة تلعنه حتى تنزع وان كان أخاه لأبيه وأمه "

وعن جابر رضي الله عنه قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعاط السيف مسلولا " رواه أبو داود والترمذي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " إن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال " لعن الله الذي وسمه "

في رواية لمسلم أيضا : نهى رسول الله عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه .

الدعوة إلى الرفق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله يحب الرفق في الأمر كله "

وقال أيضا : " إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه " (رواه مسلم)

وقال أيضا : " أن الرفق لا يكون في شيئا إلا زاله ، ولا ينزع من شيء إلا شانه " (رواه مسلم) وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من يحرم الرفق يحرم الخير كله " (رواه مسلم)

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) " ألا أخبركم بمن يحرم على النار. أو بمن تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل " (رواه الترمذي)

قال رسول الله (ص): " أهل الجنة ثلاث: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف ذو عيال " (رواه مسلم)

وقال تعالى:﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾(فصلت: 34 و 35)

وقال تعالى: ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ (آل عمران : 134)

وقال تعالى في تحريم إيذاء الناس : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد إحتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ (الأحزاب : 58)

وقال رسول الله (ص) في الدعوة لحماية المسلم: " المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى عنه الله "

وقال رسول الله (ص) في الدعوة للرحمة والتراحم بين الناس: " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله "

وقال أيضا في الحض على الإخاء بين المسلمين: " المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، وكل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه "

وقال تعالى في دعوة للإخاء بين المسلمين والتصالح بينهم:﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ (الحجرات 10)

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول " ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مضعف ولو اقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواط مستكبر"

قال تعالى في الدعوة للتواضع: ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين " (الحجر 88)

وقال تعالى : " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾

وقال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والبغي وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران 104)

وقال عز وجل ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر، لعلكم تذكرون ﴾ (النحل 90)

الثواب والعقاب الأخروي:

الأمر الذي لا شك فيه أن الإنسان يحرص – أشد الحرص – على توفير اكبر قدر ممكن من المصلحة الذاتية ، وان استشعار النفع والضر المترتب على سلوك هو اكبر حافز على الإقدام أو الإحجام ، وهذه فطرة في الإنسان .

والدين لا ينكر هذه الحقيقة ، ولا يستهين بأثرها في الدفع إلى السلوك ، لكنه يهذبها ويوجهها فقط . فإذا كان الإنسان يحب ذاته ويحرص على مصلحتها ، فان الدين يبارك في هذا الحب و ذلك الحرص ، ولكنه لا يتركه يحدد مفهوم المصلحة حسب هواه بل يتدخل في ذلك التحديد ، فالمصلحة الحقيقية في المفهوم الديني هي " الآخرة " وما الدنيا – بما فيها من شفاء ونعيم – إلا ظل زائل ، فالنعيم الحقيقي والشفاء الحقيقي هناك في الآخرة .

فإذا استقر هذا المفهوم في النفس ، زهدت في الدنيا ، لا كراهة لها ، ولكن طمعا في مصلحة اكبر منها . ليس هذا فحسب ، بل إن المؤمن ليضحي بالغالي والرخيص من اجل غيره من الناس حتى ليؤثرهم على نفسه ، كذلك طمعا في مصلحته الحقيقية ، ألا وهي الثواب من الله عز وجل .

ومن جهة أخرى فإن الخوف من عقاب الله سبحانه وتعالى يجعل الإنسان شديد الحرص على ألا يضر غيره أو يظلمه أو ينقصه شيئا قل أو كثر ، ومما يضاعف أثر هذا الشعور أن المؤمن يحس دائما انه تحت الرقابة المستمرة التي لا تغفل عنه لحظة من ليل أو نهار .

إن[3] هذا المنهج الإلهي في الترغيب والترهيب كفيل بان يجعل المجتمع في طهر كامل وتعاون ومحبة ، فإذا قيل بأن هذا المنهج مثالي ربما لا يتمثله كثير من الناس ، نقول إن مثالية لا تنفي واقعية وإشاعة المفهومات النابعة منه بين الناس كفيل بالإصلاح الكثير منهم إذا لم يصلحهم جميعا ، وهذا يؤدي إلى تقليل حجم الظاهرة الإجرامية إذا لم يعدمها .

ثم إن هناك نظاما أخر يقترن بهذا المنهج ، ذلك هو نظام العقوبات التي فيها من الردع و الزجر ما يكفي لوقف تيار الشر الصادر عن أولى القلوب والعقول الغافلة المعطلة التي لا تستجيب لأمر الله

الهوامش

(1)دعبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية الجنوح، منشأة المعرف بالإسكندرية –مصر ، بدون تاريخ

(2) وزارة التربية الوطنية الفكر الإسلامي والفلسفة مكتبة المعارف 1995 ص 511

(3) السيد سابق: دعوة الإسلام، لبنان. بيروت دار القطرط : ؟ . السنة 1978 . ص 43 وما بعدها